﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ١٤٨﴾ [الأعراف: 148]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعدَما تكلَّمَ عن قِصّةِ مُناجاةِ مُوسَى، انْتقلَ إلى ما كانَ مِن ضَلالِ قَوْمِهِ في فترةِ المُناجاةِ

عُطِفَ على جملةِ: ﴿*وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ﴾ [الأعراف: 142] عَطفَ قصّةٍ على قصّةٍ، فذَكَرَ فيما تقدَّمَ قصّةَ المُناجاةِ، وما حَصَلَ فيها مِنَ الآياتِ والعِبرِ، وذَكَرَ في هذه الآيَةِ ما كانَ مِن قومِ موسى، في مُدَّةِ مَغِيبِهِ في المُناجاةِ، مِنَ الإشراكِ[1]، لمّا كانَ رسّخَ في قلوبِهِم مِن فخامةِ مَظاهرِ الوثنيّةِ الفرعونيّةِ في مِصرَ، ذُكِرَت هذه القصّةُ هنا مَعطوفةً على ما قبلَها مِن خبرِ المُناجاةِ وألواحِ الشَّرِيْعَةِ لمَا بينَ السّياقَين مِنَ العلاقةِ والاشتراكِ في الزّمنِ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَٱتَّخَذَ﴾: الهَمزَةُ والخَاءُ والذَّالُ أَصلٌ وَاحِدٌ تَتَفَرَّعُ مِنهُ فُرُوعٌ مُتَقَارِبَةٌ في المَعنَى. والأَصلُ حَوزُ الشَّيءِ وَجَبْيُهُ وَجَمعُهُ[3]. الأخذُ: حوزُ الشَّيءِ وتحصيلُهُ، وذلك تارةً بالتّناولِ، وتارةً بالقهرِ، والاتِّخاذُ افتعالٌ منه؛ بمعنى: كَسَبْتُهُ، أُلزِمَتِ التَّاءُ كأنَّها أصليَّةٌ. ويُعَدَّى إلى مَفعُولَين، ويَجري مَجرَى الجَعْلِ[4]. ومعنى: ﴿وَٱتَّخَذَ﴾ في الآيَةِ الكريمةِ: وصَاغَ وعَمِلَ[5]، فَضْلًا عن معنى الجعلِ والتّصييرِ الّذي بيّن بهما المُفسِّرونَ معنى اللّفظةِ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/109.
(2) محمد رضا، تفسير المنار: 9/173.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أخذ).
(4) الخليل، العين: (أخذ)، والرّاغب، المفردات: (أخذ).
(5) الآلوسي، روح المعاني: 9/63.

2) ﴿حُلِيِّهِمْ﴾: الحَاءُ وَاللَّامُ وَمَا بَعْدَهَا مُعْتَلٌّ، ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: فَالأَوَّلُ طِيبُ الشَّيْءِ فِي مَيْلٍ مِنَ النَّفْسِ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي تَحْسِينُ الشَّيْءِ، وَالثَّالِثُ – وَهُوَ مَهْمُوزٌ –: تَنْحِيَةُ الشَّيْءِ، فمنَ الثَّاني: حُلِيُّ المَرْأَةِ[1]، والحَلْيُ: كلُّ حِلْيةٍ حَلَيت به بها امرأةً أو سيفًا أو ونحوَهُ، والجميعُ: حُلِيٌّ، فهو اسمٌ لِما يُحَسَّنُ بهِ مِنَ الذّهبِ والفِضّةِ[2]. ومعنى الحُليّ في الآيَةِ الكريمةِ ما يُزيَّنُ بهِ مِن مَصُوغِ الحجارةِ والمعدنيّاتِ وما إلى ذلك[3].

3) ﴿عِجْلًا﴾: العَينُ والجيمُ واللَّامُ أَصلانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الإِسرَاعِ، والآخَرُ عَلَى بَعضِ الحَيَوَانِ[4]، وهو العِجْلُ: وَلَدُ البَقَرَةِ؛ وسُمِّي بذلكَ لِتصَوُّرِ عَجَلَتِها الّتي تَعدِمُ منه إذا صارَ ثورًا[5]، أو لولادتِهِ قبلَ بُلوغِ الوقتِ الّذي أَلِفُوا أن تَلِدَ النّوقُ بعدَهُ، وهو اثنا عشرَ إلى خمسةَ عشرَ شهرًا، والبقرُ تَلِدُ لتسعةِ أشهرٍ[6]، وقِيلَ: العِجْلُ: ولدُ البَقَرَةِ الأَهليَّةِ خَاصَّةً، وَلَا يُقَالُ لولدِ الوحشيّةِ عِجلٌ[7]، وكلُّ عِجلٍ في القرآنِ الكريمِ فالمُرادُ به ولدُ البقرةِ.

4) ﴿جَسَدًا﴾: الجيمُ والسِّينُ والدَّالُ يدُلُّ عَلَى تَجَمُّعِ الشَّيءِ أيضًا واشتِدَادِهِ. مِن ذَلِكَ جَسَدُ الإِنسَانِ[8]. ولا يُقالُ لغيرِ الإنسانِ جَسَدٌ مِن خلقِ الأرضِ. وكلُّ خلقٍ لا يأكلُ ولا يَشربُ مِن نحوِ الملائكةِ والجنِّ ممّا يَعقِلُ فهو جَسَدٌ[9]. والجَسَدُ: البدنُ[10]، وهو كالجسمِ لكنّه أخصُّ[11]. وكان عِجْلُ بني إسرائيلَ جَسَدًا لا يأكلُ ولا يَشربُ ويصيحُ[12]؛ أي: كتلةٌ لا روحَ فيها[13].

(1) الخليل، العين: (حلي)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (حلو).
(2) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/377.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حلو - حلى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عجل).
(5) الرّاغب، المفردات: (عجل).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عجل).
(7) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (عجل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جسد).
(9) الخليل، العين: (جسد).
(10) الجوهريّ، الصّحاح: (جسد).
(11) الرّاغب، المفردات: (جسد).
(12) الخليل، العين: (جسد).
(13) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جسد).

5) ﴿خُوَارٌ﴾: الخَاءُ والوَاوُ والرَّاءُ أَصلَانِ: أَحَدُهُمَا يدُلُّ على صَوتٍ، ومنهُ قَولُهُم خَارَ الثَّورُ يَخُورُ، وذَلِكَ صَوتُهُ. فالخُوارُ: ما اشتدَّ مِن صوتِ البقرةِ والعِجلِ، وصياحِه[1]. والخُوَارُ: صوتُ البهائمِ. وذَكَرَ الرّاغبُ أنّه مُختَصٌّ بالبقرِ، ثمّ تَوَسَّعُوا فِيهِ، فأَطْلَقُوهُ على صِياحِ جَمِيعِ البَهَائِمَ[2]. كصَوتِ البعيرِ والغَنَمِ والظِّبَاءِ والسِّهَامِ[3]. وقولُهُم: خارَ السّهمُ، تشبيهٌ بخُوارِ البقرِ والثّورِ في إحداثِ الصّوتِ. أمّا الخُوارُ مِن أصواتِ البقرِ والغنمِ والظّباءِ فهي تُنبِئُ عن فراغٍ كبيرٍ أو تخلخلٍ في البناءِ تمرُّ فيه الرّيحُ[4]، وهي حِيلَةُ السّامريِّ في العِجْلِ الّذي صاغَهُ؛ لتحويلِ الرّيحِ الدّاخلةِ جوفَهُ إلى صوتٍ أشبهَ بخُوارِ البقرِ.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

مُنْتهَى الضّلالِ والزَّيغِ عنِ الحقِّ، اتّخاذُ العِجْلِ مِنَ الحَلْيِّ الذّهبيِّ إلهًا

بعدَ ما فارقَهُم مُوسى ﷺ مَاضيًا إلى مناجاةِ ربِّهِ، ووفاءً للوعدِ الّذي كانَ ربُّهُ وعدَهُ اتّخذَ بنو إسرائيلَ: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾، على هيئةِ ولدِ البقرةِ، له صوتٌ يشبهُ صوتَهُ ممّا تُفنِّنَ فيه مِن سرِّ الصّناعةِ بإمرارِ الرّيحِ فيه؛ ليحدثَ هذا الصّوتُ، وعكفوا عليه يعبدونَهُ، جهلًا منهم وجحودًا، وذلكم مُنتَهى الضّلالِ؛ لأنّ الرّبَّ ﷻ الّذي له مُلكُ السّمواتِ والأرضِ، ومُدبِّرُ تصريفِ الكونِ، لا يَجوزُ أن يكونَ جسدًا له خوارٌ، لا يكلِّمُ أحدًا ولا يُرشِدُ إلى خيرٍ، بل صفتُه أنّه يُكلِّمُ أنبياءَهُ ورسلَهُ، ويُرشِدُ خلقَهُ إلى سبيلِ الخيرِ، ويَنهاهُم عن سبيلِ المَهالِكِ والرّدَى[5].

وتُرشِدُ الآيَةُ الكريمةُ إلى صحّةِ الحِجاجِ في الدّينِ، وأنّهُ تعالى

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (خور).
(2) الرّاغب، المفردات: (خوار).
(3) الزّبيديّ، تاج العروس: (خور).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خور).
(5) ابن جرير، جامع البيان: 13/117 - 118.

دَلَّهُم، في بُطلانِ اتّخاذِ العِجْلِ إلهًا، بأنَّه لا يَتَكلَّمُ ولا يَهدِي، وإنّما ذَكَرَ الكَلامَ؛ لأنَّ الخُوارَ تَنفَدُ فِيهِ الحِيلةُ، ولا تَنفَدُ في الكَلامِ، وتدُلُّ على أنّ إزالةَ الشُّبَهِ في الدِّينِ وَاجبٌ، كما أزالَها اللّهُ تعالى[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلّةُ العُدولِ مِنَ الفصْلِ إلى الوصْلِ:

سِياقُ طَلَبِ القَومِ جعْلَ إلهٍ، وطلَبِهم اتّخاذَ العِجْلِ، مُشتركان في الغايةِ

عُطِفَ على جملةِ: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ﴾ [الأعراف: 142] عَطفَ قِصَّةٍ على قِصّةٍ، فذُكِرَ فيما تقدَّمَ قِصّةُ المُناجاةِ، وما حَصَلَ فيها مِنَ الآياتِ والعِبرِ، وذُكِرَ في هذه الآيَةِ ما كانَ مِن قومِ مُوسى، في مُدّةِ مَغِيبِهِ في المُناجاةِ، مِنَ الإشراكِ[2]. ولمَّا كانَ رسْخَ في قلوبِهم مِن فخامةِ مظاهرِ الوثنيّةِ الفِرعونيّةِ في مِصرَ، ذُكِرَت هذه القصّةُ هنا معطوفةً على ما قبلَها مِن خبرِ المُناجاةِ وألواحِ الشَّريعَةِ لِمَا بينَ السّياقين مِنَ العلاقةِ والاشتراكِ في الزّمنِ[3].

بَلاغةُ التَّعْبِيرِ بفعْلِ الاتّخاذِ:

في الفِعلِ معنَى المُشارَكةِ، والتَّصنُّعِ على خِلافِ الحقِّ

﴿وَٱتَّخَذَ﴾ أصلُهُ (اِيتَخَذَ)، على وزن (افتَعَلَ) من: (تَخِذَ)، ويَخرجُ لمعانٍ منها: المُشارَكة، وهو المعنى المُناسِبُ علّةً لاختيارِهِ بأمارةِ إضافتِهِ إلى قومِ مُوسى، وتعقيبِهِ بما يدُلُّ على المشاركةِ بإسهامِهِم في الصّناعةِ بحُليِّهِم، فَضلًا عن إمكانِ تضمُّنِ أصلَيْ معاني (افتعل)؛ وهما: المطاوعةُ، والاتّخاذُ الّذي يعني هنا التَّصنُّعَ على خِلافِ الحقِّ، أو طبيعةِ الأمرِ السَّويِّ.

بَلاغةُ المَجازِ العَقليِّ، في نِسبةِ الاتّخاذِ إلى قومِ مُوسَى:

مِن مَجازِ الصُّورةِ في (اتّخَذُوا عِجْلًا)، بمعنى صُورةَ عِجْلٍ

نَسَبَ الاتّخاذَ إلى قومِ موسى كلِّهم على طريقةِ المجازِ العقليِّ؛ لأنّهُم الآمَرونَ باتّخاذِهِ والحَريصون عليهِ، والمُريدُونَ لاتّخاذِهِ،

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/185.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/109.
(3) محمد رضا، تفسير المنار: 9/173.

الرّاضونَ بهِ، والمُشاركونَ في صناعتِهِ، فكأنَّهُم بإجماعِهِم على ذلك: فَعَلُوهُ. وهذا مَجازٌ شائعٌ في كلامِ العَربِ، ومعنى اتّخَذُوا عِجلًا صُورةَ عِجلٍ، وهَذا مِن مَجازِ الصّورةِ، وهُو شائعٌ في الكَلامِ[1]، ونَسَبَ الفعلَ إليهم؛ لأنّ رجُلًا منهُم باشرَهُ، ووُجِدَ فيما بينَ ظهرانيهِم، كما يُقالُ: بنو فلانٍ قالُوا كذا، وفَعَلُوا كذا، والقائلُ والفاعلُ واحِدٌ مِنهُم[2]. ويَجوزُ أن يكونَ المُرادُ بالاتّخاذِ تصييرَهُم إيّاهُ إلهًا مَعبُودًا لا صُنعَهُ وإحداثَهُ[3]، ويصحّحُ ذلك نسبةُ الاتِّخاذِ إلى القومِ، ولا تَجوُّزَ حينئذٍ في الكلامِ؛ لأنَّ العبادةَ لهُ وقعَت منهم جميعًا إلّا هارونَ[4].

سِرُّ العُدولِ عن لفْظِ الإخراجِ، في سُورةِ طهَ:

ورودُ لفْظِ الإخراجِ في سِياقِ التَّبرّي مِن أن يكونَ إخراجُ العِجْلِ لأجْلِهِم

لمّا كانَ الحديثُ هنا في سِياقِ ذمِّ المُتكبِّرينَ، والمُكذِّبينَ، والجاحِدينَ لآياتِ اللّهِ ناسَبَ التّذكيرَ باتّخاذِ قومِ مُوسى ﷺ عِجلًا ليعبدُوهُ مِن دونِ اللّهِ بعدَ ذهابِهِ إلى مُناجاةِ ربِّهِ، وناسبَ ذلك المعنى اختيارَ الفعلِ ﴿وَٱتَّخَذَ﴾. ولمّا كانَ الحديثُ في سورةِ [طه: 86] عن غضبِ موسى ﷺ، وأسفِهِ ممّا فعلُوهُ، وعتبِهِ لَهُم على سُوءِ صنيعِهِم بقولِهِ: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾، وكان سياقُ الحديثِ حوارًا بينَهُ ﷺ وبينَ المُتكلِّمينَ معهُ، وكونُهم ممّن لم يَعتقدْ بإلهيّةِ العِجلِ، ولكنَّهم صانعُوا دهماءَ القومِ، كان مِن تمامِ المَعذرةِ الّتي اعتذرَ بها المُجيبون لمُوسى ﷺ التَّعبيرُ بلفظِ الإخراجِ، بقولهم: ﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧ فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ [طه: 87 - 88]،

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/159، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/390، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/109.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/159.

(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/35، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273.

(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/389، والآلوسي، روح المعاني: 9/64.

ويكون ضَميرُ ﴿فَأَخۡرَجَ﴾ [طه: 88] لهم التِفاتًا قصدَ القائلون به التّبرّي مِن أن يكونَ إخراجُ العِجلِ لأجلِهم؛ أي: أخرجَهُ لَمن رَغِبُوا في ذلك، فالتَّعبيرُ بالإخراجِ - وهو إظهارُ ما كانَ مَحجُوبًا - إشارةٌ إلى أنّه صَنَعَهُ بحيلةٍ مَستورةٍ عنهم حتّى أتمَّهُ[1].

نُكتةُ تعْريفِ القومِ بالإضافةِ:

بيانٌ بتجْهيلِهم، بإنْكارِهم فضلَ مـوسَى عليه السلام، ورِسالتِه

وعرَّفَ القومَ بالإضافةِ إلى مُوسى عليه السلام تجهيلًا لهم، بكونِهم قومَ النَّبيِّ الّذي أخرجَهُم مِنَ الضّلالِ إلى عبادةِ اللّهِ الوَاحدِ، وأنقذَهُم مِن ذُلِّ فِرعونَ ومَلَئِهِ، وكُفْرُهم - ما إنْ غابَ عنهُم - غايةٌ في التَّنكُّرِ له، والجحُودِ بفضلِه.

فائِدةُ التَّعْبيرِ بـ﴿مِنۢ﴾، في قولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾:

مُفادُ البَعديّةِ، أنّ الاتّخاذَ تمَّ مِن أوّلِ زمانِ المُغادرةِ

معنى ﴿مِنۢ﴾ في الآيَةِ الكريمةِ لابتداءِ الغايةِ، وفائدةُ ذكرِهَا الإشارةُ إلى أنّهُم اتّخذُوا العِجلَ مِن أوّلِ زمانِ مُغادرةِ مُوسى عليه السلام، وهو دليلُ إسراعِهم، ورغبتِهم، وهي حالةٌ غريبةٌ؛ لأنَّ شأنَ التّغيُّرِ عنِ العهدِ أنْ يكونَ بعدَ طولِ المَغيبِ على أنَّه ضعفٌ في العهدِ، كما قالَ الحارثُ بن كِلدَةَ:

فَما أَدري أَغَيَّـــرَهُمُ تنــاءٍ *** وطُولُ العَهدِ أم مالٌ أصابُوا[2]

دَلالةُ التَّعْبيرِ بالبَعديّةِ في قولِه: ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾:

التّعريضُ بهم وتَوبيخُهم، لنُكوصِهم على أعقابِهم، بمجرّدِ غَيْبَةِ نَبيِّهم

والضَّميرُ في ﴿بَعۡدِهِۦ﴾ عائدٌ على مُوسى؛ أي: بعدَ مُضيِّهِ إلى المُناجاةِ[3] في قولِه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: 143]، وفي قولِه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ [الأعراف: 142]، وفي التَّعبيرِ بـ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ تَعريضٌ بقلّةِ وفائِهم في حفظِ عهدِ مُوسى[4] عليه السلام.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/285 - 286.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/112، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/499 - 500.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/454 - 455.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/500.

وفي الجُملَةِ زيادةُ تقريعِهِم، والتَّشنيعِ بهم بأنَّهم كانُوا جَديرينَ بانتظارِهِم التَّوْراةَ الّتي ذَهَبَ مُوسى ﷺ لِمُلاقاةِ ربِّهِ ومُناجاتِهِ مِن أجلِها، والّتي ستزيدُهُم هدًى لا بالنّكوصِ على أعقابِهِم عمّا كانُوا عليهِ مِنَ التَّوحيدِ والانغماسِ في نعمِ اللّه تعالى، وبأنّهُم كانُوا جَديرينَ بالوفاءِ لنبيِّهِم فلا يَنقَلِبوا على مَا دَعاهُم إليهِ مِنَ التّوحيدِ، ولا يُحدِثُوا ما أحدَثُوهُ في مَغيبِهِ بعدَ أنْ رأَوا مُعجزَاتِهِ، وبعدَ أنْ نَهاهُم عن عبادةِ غيرِ اللّهِ.

سِرُّ التَّعْبيرِ بلفْظِ الحُلِيِّ:

عُبِّرَ بالحُلِيِّ عنِ اسْمِ الذّاتِ، لتوكيدِ المبالغةِ في السِّياقِ

والحُلِيُّ بضمِّ الحاءِ وكسرِ اللّامِ وتشديدِ الياءِ جمعُ حَلْيٍ، بفتحِ الحاءِ وسُكُونِ اللّامِ وتخفيفِ الياءِ، ووَزنُ هذا الجَمعِ فُعُولٌ[1]. وحَلْيٌ وزنُهُ: فَعْلٌ، مصدرٌ بمعنى اسمِ المفعولِ لِلمُبالغةِ؛ أي: ما يُحلَّى به، فعلُه: حُلِيَ، عُبِّرَ به عنِ اسمِ الذّاتِ لتوكيدِ المُبالغةِ[2].

دَلالةُ ﴿مِنْ﴾، في قولِهِ: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾:

تنوُّعُ معنَى (مِن)، دليلُ بَلاغةِ السِّياقِ، وانْفِساحِه لمعانٍ شتَّى

(من) لِلتّبعيضِ؛ والمعنى: مِن بعضِ الحُلِيِّ، أو: للابتداءِ؛ أي: ابتدؤُوها بِحُليِّهِم[3]، أو لِلبيانِ[4]؛ يعني: أنّ الصّورةَ كانَت مادّتُها والأجزاءُ الّتي صُنِعَت منها مِنَ الحُلِيِّ، كما أنّ القصورَ مادّتُها مِن سُهولِ الأرضِ[5].

سِرُّ إضَافةِ الحُلِيِّ إلى القومِ:

الحُلِيُّ كانَتْ في أيديهِم، أو ملكُوهَا بعدَ هلاكِ قومِ فِرعونَ

وقالَ: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾، فأضافَها إليهم، ولم تكنْ لَهُم؛ لأنّها كانَت مُستعارةً في أيديهِم. والإضافةُ تكونُ بأدنى مُلابسةٍ، وكفى بها مُلابسةً – على أنّهُم قد مَلَكُوهَا بعدَ المُهلَكينَ كما مَلَكُوا غيرَها مِن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/109.
(2) الجلالان، المفصّل، ص: 601.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/62.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/332.

أملاكِهم - كونُها مُستعارةً في أيديهم؛ لقولِه تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩﴾ [الشّعراء: 57 - 59][1]. وتَحتمِلُ إضافةُ الحُليِّ إلى بني إسرائيلَ من حيثُ تَصَرَّفَت أيديهم فيها بعدَ غَزوِ آلِ فِرعونَ[2]. فإضافتُها إليهم؛ لأنَّها كانَت في أيديهِم أو مَلكُوها بعدَ هلاكِ قومِ فِرعونَ[3].

المَلمَحُ البيانيُّ في الإضافةِ، في: ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾:

إيثارُ ذكرِ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ ضربٌ من أضْرُبِ تسفيههم، وتحميقِهم، وتجهيلِهم؛ إذِ اتّخذُوا إلهًا صنعُوهُ من مادّةٍ مَاثلةٍ بينَ أيديهم، فهو إلهٌ مُحدَثٌ همُ الّذين صنعُوهُ، فكيفَ يتقرَّبونَ إليهِ ويَعبدونَهُ، ويَلتمسونَ عندَهُ جَلبَ المَنافِعِ، ودفعَ المَضارِّ؟![4].

التّصريحُ بالمجرورِ، ضَرْبٌ مِن أضْرُبِ تسْفِيهِهِم

سِرُّ تقديمِ شِبْهِ الجُملَةِ على المفعولِ:

قدَّمَ شِبْهَيِ الجُملَةِ: ﴿مِنْ بَعْدِهِۦ﴾، و﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ على العِجلِ؛ لترسيخِ ما تقدَّمَ من معاني التّعجيلِ باتّخاذِ العِجلِ بعدَ غيابِ مُوسى مُباشرةً، وبيانِ شدّةِ رغبتِهم في ذلك سُرعةً وتَشارُكًا في الاتّخاذِ من خلالِ الإسهامِ في عملِه، وهذا الصّنيعُ هو مَحلُّ العنايةِ، ومَحطُّ التّعجيبِ؛ لِمَا يتضمَّنُهُ من جَهلٍ، وسَفاهةٍ، وحُمقٍ، وجُحودٍ؛ ولذلكَ قُدِّمَ لِتَبرُزَ هذه المعاني.

صَنيعُهُم مَحطُّ العِنايةِ، ومَدْعاةُ التّعجيبِ

بَلاغةُ الاحتراسِ، في إتْباعِ (العِجْلِ) بلفْظِ (الجسَدِ):

والجَسدُ هو الّذي لا يَعقِلُ ولا يُمَيِّزُ، إنَّما مَعنى (الجَسَدُ) معنى (الجثَّةُ) فَقَط[5]؛ أي: أخرجَ لَهُم صورةَ عجلٍ مُجسَّدةً بشكلِه وقوائمِه وجوانبِه، وليسَ مُجرَّدَ صورةٍ مَنقوشةٍ على طَبَقٍ من فضّةٍ أو ذَهَبٍ[6].

دفْعُ تَوهُّمِ غيرِ المُرادِ، من بليغِ البيانِ المستفادِ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/159.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/455.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/35.
(4) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/406.
(5) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/377.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/286.

وفي إعراب ﴿جَسَدًا﴾ ثلاثةُ أوجهٍ: أحدُها: أنّه نعتٌ. الثّاني: أنّهُ عطفُ بيانٍ. الثّالث: أنّهُ بَدَلٌ، وإنّما قال: ﴿جَسَدًا﴾ لِئلّا يُتَوَهَّمَ أنّه كانَ مَخطوطًا أو مَرْقومًا في حائطٍ أو حَجَرٍ أو غيرِ ذلك، كالتّماثيلِ المُصوَّرَةِ بالرَّقمِ والخَطِّ والدِّهانِ والنَّقشِ، فَبَيَّنَ تعالى أنّهُ ذُو جَسَدٍ[1]. فهو احتراسٌ رائعٌ لِدفعِ تَوهُّمِ غيرِ المُرادِ[2]. فلمّا كانَ العِجلُ اسمًا لولدِ البقرِ بيَّنَ أنّه إنّما يُشبهُ صورتَهُ فقط، فقالَ مُبدِلًا منه، أو وَاصِفًا: ﴿جَسَدًا﴾، ثمّ إنّ إتّباعَ لفظِ ﴿عِجْلَا﴾ بلفظِ ﴿جَسَدًا﴾ نوعٌ مِن تسفيههِم؛ فالعَجبُ كلُّ العَجبِ مِن كونِ العِجلِ المُنكَّسِ التّكوينِ إلهًا لمَن كرّمَهُ اللّهُ تعالى خَلْقًا، وصوَّرَهُ في أحسنِ تقويمٍ، وأودعَ فيه عقلًا يميّزُ بهِ بينَ الصّوابِ والخطأِ، والحقِّ والباطلِ، والحقيقةِ والوَهمِ؟[3].

دَلالةُ قولِه: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾، وأثَرُها في السِّياقِ:

وَصْـفُ العِـجْلِ بـأنّ لـه خُـوارًا، تَـرسـيـخٌ لـفَـرْطِ جَهالَتِهِم

لَمَّا كانَ الإخبارُ بالجَسدِ مُفهِمًا أنّهُ خالٍ، ممّا يُشبهُ النّاشِئَ عنِ الأرحامِ، قال: ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾؛ أي: صَوتٌ كصوتِ البقرِ؛ والمعنى: أنّهُ لا أضَلَّ ولا أعمى مِن قومٍ كانَ مَعَهم حُلِيٌّ أخذُوها ممّن كانُوا يَستَعبِدُونَهُم ويُؤذُونَهُم، وهُم مَعَ ذَلِكَ أكفَرُ الكَفَرَةِ فَكانَ جَديرًا بالبُغضِ؛ لكونِهِ مِن آثارِ الظّالمينَ الأعداءِ فاعتَقَدُوا أنَّهُ بالصَّوغِ صارَ إلَهًا، وبَالَغُوا في حبِّهِ والعُبُوديَّةِ لهُ، وهو جَسَدٌ يَرونَهُ ويَلمِسُونَهُ، ونَبيُّهُمُ الّذي هَداهُمُ اللّهُ بهِ واصطَفاهُ لِكلامِهِ يَسألُ رُؤيةَ اللّهِ فلا يَصِلُ إليها[4]، والخوار بالخاءِ المُعجمةِ صوتُ البقرِ، وقرأَ عَلِيٌّ رضي الله عنه، وأبو السَّمَّالِ وغيرُهُم (جُؤَار)[5] بالجيمِ والهَمزِ مِن جَأرَ إذا صاحَ،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/391، والسّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/460.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/407.
(3) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/407.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/113.
(5) هي قراءةٌ شاذّةٌ، يُنظر: ابن خالويه، المختصر، ص: 46، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/577.

وهو الصّوتُ الشّديدُ[1]، وإنّما أضافَ الصّوتَ إليه؛ لأنّه كانَ مَحَلَّهُ عِندَ دُخُولِ الرّيحِ جَوفَهُ[2]، فقد جوَّفُوهُ لِيمرَّ الهواءُ فيه. وفي العبارةِ ترسيخٌ لفرطِ جهالتِهم بأن أَحدَثوا في العِجلِ آلةَ صوتٍ لا فائدةَ منها؛ إذ لا تُكلِّمُهُم إلّا بإحداثِ صوتِ خُوارٍ، أو جُؤارٍ مُصطَنعٍ بحِيلةٍ أوجدُوها فيه. ولفظُ ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ يدفعُ كونَ العِجلِ قد بُعِثَ فيه الدّمُ واللّحمُ؛ إذ لو صَحَّ لكانَ الخُوارُ لازمًا لهُ، ولا يَحتاجُ إلى ذِكرٍ.

بَلاغةُ العُدولِ إلى الفصْلِ:

جملةُ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ استئنافٌ ابتدائيٌّ مَسوقٌ لبيانِ فسادِ نظرِهم في اعتقادِهم، ولتقريعِهم وتشنيعِهم وتركيكِ عقولِهم وتسفيهِهم فيما أقدَمُوا عليهِ مِنَ المُنكَرِ، الّذي هو اتِّخاذُهُ إلهًا؛ أي: ألم يرَوا أنّهُ ليسَ فيه شَيءٌ مِن أحكامِ الألوهيّةِ حيثُ لا يُكَلِّمُهُم[3]. فالصّامتُ الجمادُ لا يتَّصِفُ بالإلهيَّةِ، والّذي لا يُرشِدُ إلى خيرٍ، ولا يَكشِفُ غَمًّا كَذلكَ[4].

اسْتِئنافٌ ابتدائيٌّ مَسوقٌ، لبيانِ فسَادِ اعْتِقادِهِم

تَوْجِيهُ الاسْتِفهامِ في قولِهِ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟﴾:

الاستفهامُ لتقريرِ فسادِ اعتقادِهم، وللتّعجيبِ مِن حالِهم، ولِذلكَ جُعِلَ الاستفهامُ عن نَفيِ الرُّؤيةِ؛ لأنّ نَفيَ الرُّؤيةِ هو غيرُ الواقعِ مِن حالِهم في نفسِ الأمرِ، ولَكنّ حالَهُم يُشبِهُ حالَ مَن لا يَرونَ عدمَ تَكليمِهِ، فَوَقَعَ الاستفهامُ عنهُ لعلَّهُم لم يَرَوا ذلكَ، مُبالَغةً، وهو للتّعجيبِ، وليسَ للإنكارِ، إذ لا يُنكَرُ ما ليسَ بِمَوجودٍ، وبهذا يُعلَمُ أنّ مَعنى كَونِهِ في هذا المَقامِ بِمَنزِلَةِ النّفيِ لِلنَّفيِ إنّما نَشَأَ مِن تنزيلِ المَسئُولِ عنهُم مَنزِلَةَ مَن لا يَرى، وقد تَقدَّمَ بَيانُ ذلكَ عندَ قولِهِ تعالى: ﴿۞أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ [البقرة: 243][5].

إنْـكـارُ الإلـهِ المُصطَنَعِ، الّذي لا يُكلّمُ عابِدِيه، ولا يَـهْـدِيـهِـم سَبيلًا

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 15/7، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/390.
(2) القاسميّ، محاسن التّأويل: 5/184.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/110.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/455.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/110.

والاستفهامُ تكريرٌ لضروبِ التَّسفيهِ، والتّحميقِ، والتّقريعِ لهم على فَرطِ ضلالِهم وإخلالِهم بالنّظرِ؛ أي: ألَم يَرَوا أنّه لا يَقدِرُ على ما يَقدِرُ عليهِ آحادُ البشرِ مِنَ الكلامِ وإرشادِ السّبيلِ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ، فهو جمادٌ لا يَنفعُ ولا يَضرُّ، ولا يَردُّ عليهم إذا دَعَوهُ، ولا يَهديهم إذا استهدُوهُ، فكيفَ عَدَلُوهُ بخالقِ الأجسامِ، والقُوى، والأقدارِ؟[1].

تجلّي بَلاغة المَذهبِ الكَلاميّ بالاحْتِجاجِ النّظريّ:

انْتِفاءُ وصْفَيِ العلْمِ والقُدرةِ، عَنِ الإلهِ العِجْلِ، يَستلْزمان انْتِفاءَ باقِي الأوصَافِ

وهذا استِفهامُ إنكارٍ؛ حيثُ عَبَدُوا جمادًا أو حيوانًا عاجزًا، عليه آثارُ الصَّنعةِ، لا يُمكنُ أن يَتكَلَّمَ ولا يَهدِيَ، وقد رَكَزَ في العُقولِ أنّ مَن كانَ بهذهِ المَثابةِ، استَحالَ أن يكونَ إلهًا، وهذا نَوعٌ مِن أنواعِ البلاغةِ، يُسمّى الاحتِجاجَ النّظريَّ، وبعضُهم يُسمِّيهِ المَذهبَ الكَلاميَّ، والظّاهرُ أنّ يَرَوا بمعنى: يَعلَموا، وسَلَبَ تعالى عنهُ هَذينِ الوَصفَينِ: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ دُونَ باقي أوصافِ الإلهيّةِ؛ لأنّ انتفاء التّكليم يستلزمُ انتفاءَ العلْمِ وانتفاءَ الهدايةِ إلى سبيل يستلزمُ انتفاءَ القدرة، وانتِفاءُ هَذَينِ الوَصفَينِ؛ وهُما العِلمُ والقُدرةُ يَستَلزِمانِ باقيَ الأوصافِ، فَلذلكَ خُصَّ هذان الوَصفانِ بانتِفائِهما[2].

دَلالةُ التَّعْبيرِ بفعْلِ الرُّؤيةِ ﴿يَرَوْا﴾:

عَدَمُ تكْليمِ العِجْلِ إيّاهُم مُشَاهَدٌ لَهُم

قالَ السّمينُ: "و﴿يَرَوْا﴾ يجوزُ أن تكونَ العِلميَّةَ، وهو الظّاهرُ، وأن تكونَ البصَريّةَ، وهو بعيدٌ"[3]، وذَهَبَ ابنُ عاشور إلى أنّ الرُّؤيةَ بصريّةٌ؛ لأنّ عَدَمَ تكليم العِجلِ إيّاهُم مُشَاهَدٌ لَهم؛ لأنّ عدمَ الكلامِ يُرَى مِن حالِ الشَّيءِ الّذي لا يَتَكَلَّمُ، بانعدامِ آلةِ التَّكَلُّمِ، وهو الفَمُ الصّالحُ للكلامِ، وبتكَرُّرِ دعائِهم إيّاهُ، وهو لا يُجيبُ. وقد سَفِهَ رأيُ الّذين اتَّخذُوا العِجْلَ إلهًا، بأنّهُم يُشاهِدُون أنّهُ لا يُكَلِّمُهم ولا يَهدِيهِم

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/64، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/407.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/391.
(3) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/460.

سَبيلًا، ووجهُ الاستدلالِ بذلكَ على سَفَهِ رَأيِهِم هو أنّهُم لا شُبهةَ لَهم في اتِّخاذِهِ إلهًا بأنَّ خَصائِصَهُ خَصائصُ العَجماواتِ، فَجسمُهُ جِسمُ عِجلٍ، وهو مِن نوعٍ ليسَ أرقى أنواعِ المَوجُوداتِ المَعروفةِ، وصَوتُهُ صَوتُ البَقَرِ، وهو صَوتٌ لا يُفيدُ سَامِعَهُ، ولا يُبيِّنُ خطابًا، وليسَ هوَ بالّذي يَهديهِم إلى أمرٍ يَتَّبعُونَهُ حَتّى تُغنِيَ هدايَتُهُم عن كلامِهِ، فهُو مِنَ المَوجوداتِ المُنحَطَّةِ عَنهُم، وهذا كَقولِ إبراهيمَ: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء: 63]، فماذا رَأوا مِنهُ ممّا يَستأهِلُ الإلهيَّةَ، فَضلًا عن أن تَرتقيَ بِهِم إلى الصّفاتِ الّتي يَستَحِقُّها الإلَهُ الحَقُّ، والّذينَ عَبَدُوهُ أشرَفُ منهُ حالًا وأهدى، وليسَ المَقصُودُ مِن هذا الاستدلالَ على الأُلوهيَّةِ بالتَّكليمِ والهِدايةِ، وإلّا لَلَزِمَ إثباتُ الإلهيّةِ لِحُكَماءِ البَشَرِ[1].

مناسبةُ التَّعبيرِ بـ(أنّ) الثّقيلةِ والخفيفةِ بينَ آياتَي الأعرافِ، وطهَ:

مُراعاةُ الفرقِ بينَ سِياقِ الآيتَيْن، ولِتناسُبِ مَقامِ التّبكيتِ في الأعْرافِ

جاءَ هنا في الأعرافِ بأنّ الثّقيلة ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾، وجاءَ في [طه: 89] بأنّ الخفيفةِ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾؛ وذلك لتباينِ السّياقَين. فآياتُ الأعرافِ تَذكرُ قصّةَ بني إسرائيلَ، وعصيانَهم ربَّهُم، ومخالفتَهُم موسى ﷺ، بخلافِ سورةِ طه، فسياقُ آياتِها في نجاةِ بني إسرائيلَ مِن فِرعونَ؛ لذا جاءَت (أنّ) ثقيلةً في الأعرافِ، وخفيفةً في طه؛ لِتناسُبِ ذلك مع مَقامِ التّبكيتِ في الأعرافِ[2].

نُكتةُ تَكرارِ فعلِ الاتِّخاذِ، على طريقِ الفصْلِ:

إفادةُ التّوكيدِ، وما يترتَّبُ عليه، في ثنايَا السِّياقِ

ولَمّا كانَ هذا أمرًا عظيمًا جِدًّا، مُستبعَدَ الوقوعِ، ولا سيّما مِن قَومٍ نَبيُّهُم بينَهُم، ولاسيَّما وقَد أراهُم مِنَ النِّعَمِ والآياتِ ما مَلأت أنوارُهُ الآفاقَ، كان جَديرًا بالتّأكيدِ، فقالَ تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾؛ أي: بِغايةِ الجِدِّ، والنّشاطِ، والشَّهوَةِ[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/110، 9/111.
(2) هبيان، من روائع البيان: 5/199 - 200.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/113.

وجملةُ: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ مُؤكِّدَةٌ لِجملةِ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾، فَلِذلكَ فُصِلَت؛ والغرضُ مِنَ التّوكيدِ في مِثلِ هذا المَقامِ، هو التَّكريرُ لأجلِ التّعجيبِ والذّمِّ، كما يُقالُ: نَعَم اتَّخَذُوهُ، أو اتَّخَذوهُ إلهًا، ولِتُبنَى عليه جُملةُ ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾، فَيَظهرُ أنَّها مُتعلِّقَةٌ باتِّخاذِ العِجلِ، وذَلِكَ لِبُعدِ جُملةِ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ﴾، بِما ولِيَها مِنَ الجُملَةِ، وهَذا كقولِهِ: ﴿وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ﴾ إلى قولِهِ: ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة: 282]، أُعِيدَ ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ لِتُبنَى عليه جُملةُ: ﴿وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: 282]، وهذا التّكريرُ يُفيدُ مَعَ ذَلكَ التّوكيدَ، وما يَترتَّبُ على التّوكيدِ[1]، وهو استئنافٌ للانتقالِ مِن تجهيلِهِم باتّخاذِ العِجلَ إلهًا إلى تجهيلِهِم بما ظلمُوا به أنفسَهُم مِن قبلُ، وإعلامٌ بأنّ هذا الاتّخاذَ ليسَ أوّلَ حماقاتِهِم، فهُم غارقونَ فيها مِن قبلُ، ومِن بعدُ[2]، وتَعالُقُ ضروبِ التّجهيلِ، وتَكرارُها مُتنوّعةَ العبارةِ والصّوغِ يُناسبُ استئنافَ التّجهيلِ.

بَلاغةُ الكنايةِ في ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾:

وتَكرارُ ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ تَكرارٌ لجميعِ ما سَلَفَ مِنَ الاتِّخاذِ، على الوجهِ المَخصوصِ المُشتمِلِ على الذّمِّ، وهو مِن بابِ الكنايةِ على أسلوبِ: أنْ يَرى مُبصِرٌ ويَسمَعَ واعٍ؛ أي: أقدَمُوا على ما أقدَمُوا عليهِ مِنَ الأمرِ المُنكَرِ[3].

الاتّخاذُ في هذه الجُملة، مَحلُّ ذمٍّ واستِنكارٍ وشَجبٍ

وُجُوهُ التَّعْبِيرِ بجُملةِ: ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾:

وجملةُ: ﴿وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾؛ أي: واضِعينَ الأشياءَ في غيرِ مَواضِعِها. والجُملَةُ إمّا استئنافيّةٌ، وإمّا اعتراضٌ تذييليٌّ؛ للإخبارِ بأنّ ذلكَ دَأبُهُم وعادَتُهم قبلَ ذلكَ، ودَيْدَنُهُم وشأنُهُم في كلِّ شيءٍ؛ أي: في جميعِ أحوالِهِم ماضيًا وحاضرًا ومُستقبَلًا، فلا يُنكَرُ منهم

تَتراوحُ الجُملةُ بين الاستِئناف، أوِ الاعْتِراضِ التّذْييليّ، أوِ الحالِيّةِ أوِ التّشْبيهِ

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/35، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 9/111.
(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام: 1/407.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 9/64.

اتِّخاذُهُم العِجلَ؛ لأنّه من جملةِ ذلك، أو حاليّةٌ؛ أي: اتّخذُوهُ في هذهِ الحالةِ المُستقرَّةِ لَهُم[1]، والوجهُ الأوّلُ أبلغُ في الذّمِّ، وهو الإخبارُ عن وصفِهِم بالظّلمِ، وأنّ شأنَهُم ذَلِكَ، فلا يَتَقَيَّدُ ظُلمُهُم بهذهِ الفعلَةِ الفاضِحةِ[2]، ويُعزِّزُهُ التَّعبيرُ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ الدّالِّ على ترسيخِ كونِ الظّلمِ من عاداتِهِم المُتجذِّرةِ بهم، وحالًا مُستقرَّةً لهم. وقد يُرادُ بها التّشبيهُ، حيث شبّهَ حالَهُم بقولِهِ: ﴿ظَٰلِمِينَ﴾، بحالِ مَن يَمشِي في الظّلامِ، أو أنَّ المَقصودَ - كما أُشِيرَ - أنَّ الظّلمَ وصْفٌ لهم لازمٌ، فلا بِدَعَ إذا فَعَلُوا أمثالَ ذَلِكَ[3].

الغَرَضُ مِنِ اسْتِحضارِ فعْلِ الكَيْنونةِ الماضِي: ﴿وَكَانُواْ﴾:

الإشعارُ بأنّ الظّلمَ دَأْبُ القومِ، وعادتُهُم، ودَيدَنُهُم

وفي التَّعبيرِ عن ظُلمِهِم بلفظِ ﴿وَكَانُواْ﴾ المفيدِ للدّوامِ والاستمرارِ، إشعارٌ بأنّ هذا الظّلمَ جِبلّةٌ لهم، وطبعٌ، وهو دأبُهُم، وعادتُهُم قبلَ هذا الاتّخاذِ، وأنَّ ما صَدَرَ عنهُم ليسَ بدَعًا منهم، ولا أوّلَ ما أحدثُوهُ مِنَ المناكيرِ، فقَد سَبَقَ لهم أن قالوا لنبيِّهِم بمُجرَّدِ أن أتَوا على قومٍ يَعكفونَ على أصنامٍ لَهُم: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[4]، فلَم يكُنْ هذا أوّلَ مُنكرٍ فَعَلُوهُ، ويرسّخُهُ تكريرُ اتَّخذوهُ لِتَثنيةِ التّشنيعِ وتَرتيبِ الاعتراضِ عليهِ[5].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الجسدُ، والجسمُ، والبدنُ:

الجسمُ ما لارُوحَ له، وهو خَلْقُ اللهِ، وحياتُه في سَرَيانِ الرُّوحِ فيه

الجَسدُ كالجسمِ لكنّه أخصُّ. وخصَّصَهُ الخليلُ بالإنسانِ، وبكلِّ خَلقٍ لا يأكلُ ولا يَشربُ مِن نحوِ الملائكةِ والجنِّ ممّا يَعقِلُ، وأطلَقَهُ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/455، والسّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/461، والقاسميّ، محاسن التّأويل: 5/185.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/391.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 3/113.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 5/380.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/273.

على الدّم اليابس[1]، وكأنّه أرادَ بيَبَسِ الدّم أنّهُ تِمثالٌ جامِدٌ، وهو فَهمٌ شاعَ في التّراثِ الخَالِفِ لَهُ؛ فـالجَسدُ "تَجَمُّعُ الشَّيءِ أيضًا واشتِدَادُهُ، والجَسَدُ مِنَ الدَّم: مَا يَبِسَ"[2]. ونَقَلَ ابنُ الجوزيِّ عن ابنِ الأنباريِّ أنَّ ذِكرَ الجسدِ دلالةٌ على عدمِ الرّوحِ منهُ، وأنّ شخصَهُ شَخصٌ مِثالٌ وصُورَةٌ، غَيرُ مُنْضَمٍّ إليهما رُوحٌ ولا نَفسٌ[3]. وذَكَرَ ابنُ عاشور أنّ الجَسدَ هُو الجسمُ الّذي لا حياةَ فيهِ، وهوَ يُرادِفُ الجثّةَ، وعزاه إلى أبي إسحاق الزّجّاج، وعلى هذا التّأويلِ يكونُ المُرادُ بالجَسدِ الصّنمَ؛ لأنَّه صورةٌ بلا رُوحٍ[4].

والجَسدُ ما لهُ لونٌ، والجِسمُ يُقالُ لِمَا لا يَبِينُ له لونٌ، كالمَاءِ والهواءِ[5]. فالجِسمُ: ما لَهُ طُولٌ، وعَرضٌ، وعُمقٌ، ولا تَخرُجُ أجزاءُ الجسمِ عن كونِها أجسامًا، وإنْ قُطِعَ ما قُطِعَ، وجُزِّئَ ما قد جُزِّئَ[6]. فهو مُعتَبَرٌ فيه مُطلَقُ الحدثِ، فيُقالُ: جسُمَ جَسامةً للتّعبيرِ عن عِظَمِ الأجرامِ سواءٌ البدن بأجمعِهِ، أو الأعضاء مِنَ النَّاسِ، والإبلِ، والدّوابِّ[7]. ويُلمَحُ فيه معنى العمومِ.

ومِن هنا ناسبَ اختيارُ لفظِ الجسدِ في سياقِ الآيَةِ حقيقةَ العِجلِ المُتّخَذِ على هيئةِ صنمٍ له لونُ الحُليِّ الّتي صِيغَ منها.

والبَدنُ: الجَسدُ، لكِنِ البدَنُ يُقالُ اعتبارًا بعظَمِ الجثّةِ، وسُمِّيَت البَدَنَةُ بذلكَ لِسمَنِهَا، يُقالُ: بَدَنَ إذا سَمِنَ. والجَسدُ يُقالُ اعتبارًا باللَّونِ، ومنهُ قِيلَ: ثوبٌ مُجَسَّدٌ[8]. وسِمَنُ العِجْلِ المُتّخَذِ وعِظَمُ جُثَّتِهِ لم يكنْ مَقصودًا من بني إسرائيلَ؛ لكونِهِ مَظنّةَ الإسرافِ؛ فمادّةُ عملِهِ الحُليُّ.

(1) الخليل، العين: (جسد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (جسد).
(3) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 2/155.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/19، 23/261، وهو قريبٌ من قولِ الزّجّاج في معاني القرآن وإعرابه: 3/372.
(5) الرّاغب، المفردات: (جسد).
(6) الرّاغب، المفردات: (جسم).
(7) الخليل، العين: (جسم).
(8) الرّاغب، المفردات: (بدن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 14 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-10-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 14 : المجلد الرابع عشر، سورة الأعراف من الآية 88 إلى الآية 163.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-10-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0402725 بتاريخ 2023/12/30م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»